قراءة فيما ذكر عن الديار التي سكنتها قبيلة حرب في الحجاز حتى القرن السابع الهجري

كتبه: عبدالرحمن الحازمي

يزعم بعض الباحثين بأن قبيلة حرب قد تكونت من تحالف القبائل القاطنة بين مكة والمدينة، وأنها تشكلت ككيان من قبائل الأوس والخزرج وكنانة و مذحج وخزاعة....الخ، ليعرف هذا الكيان المتكتل بمسمى حرب في القرن السابع الهجري، دون شهرة واستفاضة لهذا الزعم ولا دليل ظاهر يستشهد به .

إن الديار التي سكنتها قبيلة حرب تاريخيا منذ خروجها من اليمن في القرن الثاني الهجري وحتى القرن السابع الهجري، بحسب ما دونته نصوص الكتب في تلك الفترة ، تعكس بلا أدنى شك حقيقة تمدد أراضي القبيلة التي تسكنها وأنها اتسعت تدريجيا من المدينة النبوية نحو مكة المكرمة، وليس عن طريق انضمام القبائل المختلفة في النسب بين مكة والمدينة وتشكيلها لكيان متحالف يقوم على المصالح المشتركة ، وبيان ذلك على النحو التالي:

١- قدس

ذكر ابن حمزة في كتابه الشافي وآخرون. بأن قبيلة من بادية المدينة يقال لها حرب، قد آوت ونصرت جده القاسم بن إبراهيم الرسي على الخليفة المأمون فحاربوا دونه. وبعد أن توفي المأمون بعث أخيه الخليفة المعتصم الذي جاء بعده بالجيوش إلى الحجاز لطلب القاسم فمنعت عنه قبيلة حرب في حدود عام ٢١٨هـ. [١]

ويتضح اسم المكان الذي آوى القاسم الرسي بما جاء عن محمد بن القاسم ، الذي ذكر بأن والده تنحى عن المدن إلى بادية المدينة وجبالها وحل في جبل من باديتها يسمى قدس -وهو المكان المقصود ببادية حرب عند ابن حمزة- ثم انتقل إلى الرس فكان خاليا فيه بولده وعياله،[٢] ويمكن أن يقال بأن قدسا هي أول المناطق التي نزلتها قبيلة حرب بعد خروجها من اليمن.

وقد ذكر الهمداني ما يؤكد أن قدسا من أولى المناطق التي نزلتها قبيلة حرب حيث نص على أن قبيلة حرب لما قدمت من صعدة صارت إلى قدس من الحجاز فناصبتهم الحرب قبيلة عنزة ثم تتابع الأحداث لتتسع الديار الخاصة بالقبيلة بعد ذلك.[٣]

٢- قدس والعرج والفرع وينبع

نقل الهمداني في كتاب الاكليل عن محمد بن إبراهيم المحابي.[٤] وقد جاور حربا سنة ٣٢٢هـ ،بأن حربا تسكن قدسا والعرج والفرع وينبع ، بعد أن أجلوا عنها عنزة ثم مزينة في القرن الثالث الهجري. ثم استعانت بقبيلة جهينة في حربها ضد قبيلة سليم في القرن الرابع الهجري واستطاعت بعد ذلك أن تتغلب على طريق المدينة إلى مكة.[٥]

٣- ضواحي المدينة في الحرتين والنقيع والعقيق

ذكر الهمداني في كتاب الإكليل تواجد قبيلة حرب في ضواحي المدينة في الحرتين والنقيع و العقيق ، حيث أنه بعد أن تغلبت قبيلة حرب على البلاد ، تعلقت قريش بأصهارهم وكانت حربا لا تصاهر إلا رجلا منها أو قرشيا.

وقد سرد الهمداني وغيره عددا من المصاهرات التي كانت بينهم ويبدو أن المصاهرة والمجاورة قد وثقت العلاقة فيما بينهم، بحيث مكنت الحسينيين من حكم المدينة النبوية الذين انتزعوه من منافسيهم الجعفريين سنة ٢٦٦هـ ،[٦]ولا شك أن القبائل المحيطة بالمدينة قد كان لها دور في ذلك، كما مكنت حربا من التوسع في ديارها على حساب القبائل الأخرى و استحواذها على خفارة الطريق بين الحرمين حتى عهد الشريف شكر مؤقتا.[٧]

ويعتقد بأن التقارب الظاهر بين قبيلة حرب والحسينيين وبين قبيلة عنزة والجعفريين كان السبب الرئيسي للخلاف الذي وقع بين القبيلتين إضافة إلى المشاجرة التي حدثت بين العنزي والحربي في جذاذ نخل، الأمر الذي أدى إلى خروج الجعفريين وعنزة إلى الصعيد وإلى خيبر ووجودهما معا.[٨]

٤- الفرع والسائرة

روى أبو زيد البلخي في كتابه صور الاقاليم أثناء مقامه عند رئيس الجعفريين في ودان القريبة من الأبواء في حدود عام٣٠٦هـ. بأن حربا قبيلة من اليمن وإن لم يحدد زمن قدومها من اليمن إلى الحجاز، وذكر بأنهم حاربوا الجعفريين واستولوا على ضياعهم في الفرع والسائرة التي تعرف الآن بحجر.[٩]

٥- بين مكة والمدينة

نقل ابن خلدون عن تاريخ الوزير أبي غالب بن الحصين الذيل على تاريخ الطبري، بأن حربا قد أخرجت الجعفريين من مساكنهم التي بين مكة والمدينة، وأجلوهم إلى الصعيد في حدود عام ٣٠٦ تقريبا، وقد كان الجعفريين حكام المدينة في القرن الثالث الهجري كما سبق ذكره.[١٠]

٦- الأثاية

ذكر الهمداني بأن حربا أوقعت بسلطان مكة ابن ملاحظ الرومي،[١١] في منطقة شرف الأثاية قرب العرج ،وقد حدثت الوقعة في عام٣١١ هـ تقريبا، وقد تم أسر ابن ملاحظ ثم منوا عليه وخلو سبيله .[١٢]

ويقول أبو بكر الشافعي أن ابن ملاحظ قد حدثت له فتنة بحيث عزل لأجلها ولم يستطع حاكم مكة الذي جاء بعده من الخروج من مكة خوفا من الأعراب.[١٣]

٧- متصل الطرق القادمة من خيبر ووادي القرى نحو المدينة النبوية

ذكر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب مساكن قبيلة حرب الواقعة شمال المدينة في المنطقة التي تتصل فيها طرق خيبر ووادي القرى قرب العلا بالمدينة النبوية من ناحيتها الشمالية ، وأنها جنوب ديار بلي وجهينة ومزينة التي تطرقت قديما إلى ديار طيء دون بني حرب.

٨- على طريق الحج المصري

ذكر الأصفهاني في البستان الجامع ما يفيد أن قبيلة حرب تقع على طريق الحاج المصري ، حيث هجموا على موكب الحج المصري عام ٣٤٥ هـ وبعد مقاومتهم هربوا إلى الجبال،[١٤] مما يفيد بأن قبيلة حرب مستقرة في ديارها التي على طريق الحج طوال ١٠٠٠ سنة الماضية، لتشابه الأحداث التي تجري بينهم طوال تلك المدة.

٩- العقيق

أخبر التوحيدي في كتابه أخلاق الوزيرين عن اجتماعه في دار أمير المدينة القاسم بن عبيدالله بن طاهر الحسيني بالعقيق في حدود عام ٣٥٣هـ بأبي الخصيب الحربي وسيد حيه أي شيخ قبيلة حرب ويعتقد أنه صهر أمير المدينة الذي أخبر الهمداني بأنه متزج من أخت عطاء بن محمود من أبيه وأمه، ثم ذكر حديثهما معا على ضفة وادي العقيق وهما ينطلقان بما يحصل ومالا يحصل ، فاشترك معهم في حديث أدبي ساقه التوحيدي في كتابه.[١٥]

١٠- ضواحي المدينة

روى القاضي ابن يعقوب في كتاب سيرة القاسم العياني قصيدة لإمام اليمن القاسم العياني، ذكر فيها رغبته العودة إلى المدينة النبوية، في حوزة قبيلة حرب الذين سماهم بالعرب الحماة الكرام أولي النهى . [١٦]مما يفيد إلى أن القاسم العياني المولود في تبالة سنة ٣١٠هـ ،قد نزل في بداية حياته عند قبيلة حرب في ضواحي المدينة آنذاك ، قبل أن يدخل اليمن سنة ٣٨٨هـ إلى اليمن لحكمها بعد ذلك.

١١- العرج

ذكر الأفطسي في كتابه المجموع اللفيف رواية حاج قدم إلى مكة، وقد ذكر فيها بأنها في زمن كانت الخطبة فيها للحاكم بأمر الله الفاطمي أي في حدود عام ٤٠٠هـ ، حيث خرج من مكة إلى بطن مر ثم توجه إلى عسفان فخيمة أم معبد فالأبواء فسقيا يزيد ثم مر بالعرج، وقال بأنها من قطائع بني حرب وهم عرب لهم ذمام وبهم انتفاع.[١٧]

١٢- بين جادتي الحاج المدني والشامي

أورد الماوردي في كتابه الحاوي في أحكام الحج الذي ألفه قبل عام ٤٥٠هـ تقريبا ، عن مواقيت الإحرام المكانية. حيث تطرق إلى حكم فقهي لمن يسكن من قبيلة حرب في المنطقة التي بين جادتي الحاج والمعتمر المدني والشامي أي ما بين ذو الحليفة والروحاء والصفراء وبدر والسقيا والعرج والأبواء والجحفة.[١٨]

١٣- اشتهار سكن القبيلة في الحجاز

نص ابن حزم الاندلسي في كتابه جمهرة النسب في نحو عام ٤٥٠هـ . وإن كان يظن ابن حزم بأن نسب قبيلة حرب يرجع إلى قبيلة بني هلال القيسية، إلا أن في نص الأندلسي إشارة إلى اشتهار قبيلة حرب في الحجاز لدى الأندلسيين .[١٩]

١٤- حدود ديار القبيلة من شمال ديار الجعفريين وحتى المدينة النبوية

ذكر مفرح الربعي في سيرة ابني القاسم العياني نحو عام ٤٥٥هـ .بأنه خرج مع ابني القاسم العياني من مكة متوجها للمدينة، فمر بديار الجعفريين بصحبة رجل منهم حتى خرجوا من ديار الجعفريين ووصلوا إلى ديار قبيلة حرب، فقالت حرب لهم: ادفعوا الصحابة إن أردتم السلامة وكان معهم رجل مدني لم ينظروا إليه وقال لهم الشريف أنه من بني الحسن، ثم سألوا عن من معهم من اليمنيون فأعطوهم حق الطريق المار ببلادهم ومضوا إلى أن وصلوا للمدينة النبوية.[٢٠] الأمر الذي يدل على أن ديار قبيلة حرب تشمل كامل المنطقة التي تبدأ من نهاية ديار الجعفريين إلى المدينة النبوية.

١٥- اشتهار سكن القبيلة بين مكة والمدينة

ذكر الحريري في مقاماته الأدبية التي ألفها من وحي خياله في حدود عام ٥٠٠هـ ، ما يفيد شهرة قبيلة حرب في الحجاز. في مقامة تعرف بالحربية، ذكر فيها عن شخصية الحارث بن همام الذي رغب أن يزور المدينة بعد أن قضى من مناسك الحج فأقام لدى قبيلة حرب بعد أن آبوا من حرب.[٢١]

١٦- على طريق الحج الشامي

ذكر الأصفهاني في البستان الجامع ما يفيد عن أن قبيلة حرب تقع على طريق الحاج الشامي، حيث هجموا على موكب الحج الشامي في عام ٥٤٢هـ .[٢٢] وهذا الخبر من الأحداث المتكررة التي تحدث بين المحمل الشامي وقبيلة حرب وتدل مشابهة الأحداث إلى مشابهة الديار.

١٧- في البر من شمال المدينة

ذكر ابن فندق في كتاب لباب الانساب خبرا ذكر فيه بأن أمير المدينة الحسن بن مهنا الحسيني، قد هرب في عام ٥٥٨هـ من أخيه إلى البر عند قرابته من بني حرب واتجه إلى خيبر.[٢٣] وهذا الخبر يفيد إلى أن أخواله أو أصهاره من قبيلة حرب الذي نزل عليهم ، ويظهر من النص بأنهم يسكنون شمال المدينة ،لأنه اتجه شمالا نحو خيبر.

١٨- بين مكة والمدينة وارتباطهم بصعدة

ذكر يحيى بن الحسين في غاية الاماني في أحداث عام ٦٠٣ هـ بأن طائفة من حرب أي يسيرة ، قد خرجت من مساكنها بين المدينتين- مكة والمدينة- وعادوا إلى صعدة.[٢٤] الأمر الذي يدل على ارتباط قبيلة حرب التاريخي بديارهم القديمة حتى ذلك الوقت.

١٩- الغميم

ذكر ابن فضل الله العمري في كتاب مسالك الابصار وغيره خبرا عن مخاطبة الخليفة الناصر لدين الله العباسي للشريف قتادة سنة ٦٠٣هـ، عن عيث بني حرب بين الحرمين حين غموا قلب كل محرم بالغميم، والغميم موضع قرب عسفان .[٢٥] وقد قال ابن فضل الله أيضا عن قبيلة حرب في موضع آخر بأن قبيلة حرب من أكثر العرب عددا و أجرأهم رجلا باطشة ويدا ،وقال نقلا عن الحمداني :هم ثلاثة بطون : مسروح وبنو سالم وبنو عبدالله ثم قال : ومنهم زبيد الحجاز وبنو عمرو.[٢٦]

٢٠- جمع كبير نزل بين مكة والمدينة ولهم الأبواء وودان والفرع

ذكر ابن سعيد الأندلسي في كتاب نشوة الطرب الذي قدم للحج في حدود ٦٥٠هـ، بأن قبيلة حرب جمع كبير نزل بين مكة والمدينة النبوية. ثم قال: ولهم فيما بين الحرمين الأبواء و ودان والفرع .[٢٧] ما يفيد بأن قبيلة حرب قبيلة كبيرة ،وإن أشكل عليه الأمر في نسبها، بحيث وقع في خلط بين الأصل والفرع أي بين زبيد وحرب وخلط آخر حين ظن بأن زبيد حرب هي زبيد مذحج، علما بأن ابن سعيد ينسب خولان إلى مذحج.

المراجع:

[1] - الشافي ، عبدالله بن حمزة ص٧٧٠ ،و الحدائق الوردية ،المحلي،ج٢ ص٦، و مآثر الأبرار، الزحيف الصعدي ،ص ٤٩٢، وبلوغ الأرب ، الشهاري، ص٢٦٤.

[2] - مجموع محمد بن القاسم(كتاب الهجرة والوصية) ص٣٧١

[3] - الإكليل، الهمداني، ج١ ص٢٧٠

[4] - هو أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الحابي الكلاعي والده إبراهيم بن إسماعيل الحابي الذي حكم مخلاف جعفر منذ سنة ٣٠٤هـ وأخوه أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحابي أمير مخلاف جعفر حتى سنة ٣٤٢هـ

[5] - الإكليل، الهمداني ج١ ص٢٧٠

[6] - ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون ج٣، ص ٤٢٧

[7] - الدامغة في المفاخرة بين القحطانيين والعدنانيين ، و ٤٨أ

[8] - االبيان والأعراب ،المقريزي ص ٣٦ ،ديوان ابن المقرب العيوني ص ٥١ ، زهرة المقول ،ابن شدقم، ص١٨١

[9] - مسالك الممالك ،الاصطرخي، ص ٢٢ ، صورة الأرض ، ابن حوقل، ص ٤٠

[10] - ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون ج٤، ص ١٣١

[11] - هو ابن ملاحظ بن عبدالله الرومي تولى حكم اليمن عام ٣٠٩هـ ثم حكم مكة عام ٣١٠هـ وقد كان والده أميرا لمدينة زبيد في اليمن حتى وفاته سنة ٣٠٤هـ

[12] - الإكليل ، الهمداني ، ج١ ص٢٧٢

[13] - تاريخ الخلفاء لابن يزيد بزيادة أبي بكر الشافعي ، ص٤٤٧

[14] - البستان الجامع، الأصفهاني ص٢٤٧

[15] - أخلاق الوزيرين، التوحيدي ، ص٥١١-٥١٤

[16] - سيرة القاسم العياني ، ابن يعقوب، ص١٤٦-١٤٧

[17] - المجموع اللفيف، الأفطسي، ٢٦٥-٢٦٨

[18] - الحاوي ، الماوردي ، ج٤ص٧٥

[19] - جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص٢٧٥

[20] - سيرة الأميرين ،مفرح الربعي،ص١٣٧

[21] - مقامات الحريري ، أبو محمد الحريري، ص٣٢٥

[22] - البستان الجامع، الأصفهاني ص٣٦٢

[23] - لباب الأنساب ، ابن فندق، ص٥٣٤

[24] - غاية الأماني ، يحيى بن الحسين، ص٣٨٩

[25] - مسالك الأبصار، ابن فضل الله ج٢٧ ص٣٣

[26] - مسالك الأبصار، ابن فضل الله ج٤ ص٣٥٧

[27] - نشوة الطرب ، ابن سعيد ، ص٣٧٣